

طرح الحمار الملك أرضاً (رفسه) ويسأل الثعلب: هل فى هذا من عار؟ "وهل أتيت عظيماً؟" فما كان من الثعلب إلا أن جاوبه بما يناسب غباءه: "فقال: لا يا حمار!"

مع هذا فإننا نعتقد أن بعض الأمور المهمة لم ينتبه إليها شوقى فى البحث عن مقياس النجاح، ونحن بهذا لا نحكم عليه بالخطأ، فهو لم يؤلف قصصه لتحقيق أهداف تربوية محددة، أو لتكون ضمن مقررات مرحلة بعينها، لقد استهدى الغاية العامة، واهتم بتجويد الشكل ودقة النسج ما سمحت له الحكاية بذلك، دون حرص شديد على تطابق النتائج أو الدرس الأخلاقى مع الأهداف التربوية التى لم يتعرف عليها مؤلف كتب الأطفال إلا فى فترة متأخرة جداً. لم يذكر شوقى ما عمر هؤلاء الأحداث الذين كان يلقى عليهم القصص، وهل كانوا متفاوتين عمراً، أو متساوين؟ وما مقدار ما حصلوا من تعليم فى المدارس العربية، أو الأجنبية (التى كانت شائعة فى زمانه، وبخاصة أنه بدأ كتابة قصصه، إن لم يكن كتبها كلها فى باريس) وكم عدد هؤلاء الأطفال وهل يصلحون أن يكونوا "عينة" تتطوى على خصائص المجتمع فى طبقاته، وثقافته وبيئاته الاجتماعية، وموروثاته. أم أنهم جميعاً ينتمون - وهذا هو الأغلب - إلى نفس طبقة شوقى؟! إننا لكى نتعرف على الميول والاتجاهات، نحتاج إلى عرض "المادة" المطلوب قياسها على عشرات، بل مئات، كى نحصل على مؤشرات حقيقية لها صفة العموم. وينبغى أن تخضع الإجابات، أو الاستجابات للتصنيف والتحليل، وهو ما لم يكن فى إمكان شوقى. ولا نطالبه به.

ومهما يكن من شىء فإن النقد الفنى للحكاية القصصية عند شوقى يضعها فى مقدمة ما أبدع بالعربية فى هذا الفن، وقد عرضنا لنموذج واحد، وسنختار نماذج أخرى. ولكن الهدف التربوى أو الدرس الأخلاقى الذى تحقق فى نسبة كبيرة من هذه القصص، تخلى عن عدد منها.

هناك قصص فنية، تحكى حكايات طريفة، هدفها التسلية والترفية، بصرف النظر عن "العظة" التى لا نجدها، وهذا النوع قليل، مثل ما نجد فى قصة "فأر الغيظ" وفأر البيت"، فالأخير رفض الأرض الواسعة، وفرح بما يقتنص من البيت، ولكنه ما لبث أن تعرض لمطاردة الإنسان، فى مرة فقد ذيله، وفى الأخرى فقد رجله، ثم انتهت